

تفسير البحر المحيط

@ 194 @ ثم تعرج الملائكة ، بزيادة الملائكة ، ولعله تفسير منه لسقوطه في سواد المصحف . . .

{ ذَالِكَ } : أي ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير ، { عَالِمُ الْغَيْبِ } :
والغيب الآخرة ، { وَالشَّهَادَةِ } : الدنيا ، أو الغيب : ما غاب عن المخلوقين ،
والشهادة : ما شوهد من الأشياء ، قولان . وقرأ زيد بن علي : { عَالِمُ الْغَيْبِ }
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } : بخفض الأوصاف الثلاثة ؛ وأبو زيد النحوي :
بخفض { الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } . وقرأ الجمهور : برفع الثلاثة على أنها أخبار لذلك ،
أو الأول خبر والاثنان وصفان ، ووجه الخفض أن يكون ذلك إشارة إلى الأمر ، وهو فاعل بيعرج
، أي ثم يعرج إليه ذلك ، أي الأمر المدير ، ويكون عالم وما بعده بدلاً من الضمير في إليه
 . وفي قراءة ابن زيد يكون ذلك عالم مبتدأ وخبر ، والعزيز الرحيم بالخفض بدل من الضمير
في إليه . وقرأ الجمهور : خلقه ، بفتح اللام ، فعلاً ماضياً صفة لكل أو لشيء . وقرأ
العربيان ، وابن كثير : بسكون اللام ، والظاهر أنه بدل اشتمال ، والمبديل منه كل ، أي
أحسن خلق كل شيء ، فالضمير في خلقه عائد على كل . وقيل : الضمير في خلقه عائد على ا ،
فيكون انتصابه نصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة ، كقوله : { صِدْقَةَ اللَّهِ } ، وهو
قول سيبويه ، أي خلقه خلقاً . ورجح على بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المصدر إلى الفاعل ،
وهو أكثر من إضافته إلى المفعول ، وبأنه أبلغ في الامتنان ، لأنه إذا قال : { أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ } ، كأن أبلغ من : أحسن خلق كل شيء ، لأنه قد يحسن الخلق ، وهو المجاز له ،
ولا يكون الشيء في نفسه حسناً . فإذا قال : { أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ } ، اقتضى أن كل شيء
خلقه حسن ، بمعنى : أنه وضع كل شيء في موضعه . انتهى . .

وقيل : في هذا الوجه ، وهو عود الضمير في خلقه على ا ، يكون بدلاً من كل شيء ، بدل
شيء من شيء ، وهما لعين واحدة . ومعنى { أَحْسَنَ } : حسن ، لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو
مرتب على ما تقضيه الحكمة . فالمخلوقات كلها حسنة ، وإن تفاوتت في الحسن ، وحسنها من
جهة المقصد الذي أريد بها . ولهذا قال ابن عباس : ليست القردة بحسنة ، ولكنها متقنة
محكمة . وعلى قراءة من سكن لام خلقه ، قال مجاهد : أعطى كل جنس شكله ، والمعنى : خلق كل
شيء على شكله الذي خصه به . وقال الفراء : ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه ، كأنه
أعلمهم ذلك ، فيكون كقوله : { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } . وقرأ الجمهور : بدأ
بالهمز ؛ والزهري : بالالف بدلاً من الهمزة ، وليس بقياس أن يقول في هذا : هذا ، بإبدال

الهمزة ألفاً ، بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين ؛ على أن الأخفش حكى في قرأت : قرئت
ونظائره . وقيل : وهي لغية ؛ والأنصار تقول في بدأ : بدى ، بكسر عين الكلمة وياء بعدها
، وهي لغة لطي . يقولون في فعل هذا نحو بقى : بقأ ، فاحتمل أن تكون قراءة الزهري على
هذه اللغة أصله بدى ، ثم صار بدأ ، أو على لغة الأنصار . وقال ابن رواحة : % (باسم
الإله وبه بدينا % .

ولو عبدنا غيره شقينا .

. %)

.

{ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ } : هو آدم ، عليه الصلاة والسلام . { ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ } : أي ذريته . نسل من الشيء : انفصل منه . { ثُمَّ سَوَّاهُ } : قومه وأضاف
الروح إلى ذاته دلالة على أنه خلق عجيب ، لا يعلم حقيقته إلا هو ، وهي إضافة ملك إلى مالك
وخلق إلى خالق تعالى . { وَجَعَلَ لَكُمُ } : التفات ، إذ هو خروج من مفرد غائب إلى
جمع مخاطب ، وتعدد للنعم ، وهي شاملة لآدم ؛ كما أن التسوية ونفخ الروح شامل له
ولذريته . والظاهر أن { وَقَالُوا } ، الضمير لجمع ، وقيل : القائل أبي بن خلف ،
وأُسند إلى الجمع لرضاهم به ، والناصب للظرف محذوف يدل عليه { * أننا } وما بعدها
تقديره انبعث . { أَعْدَا ضَلَالَنَا } ، ومن قرأ إذا بغير استفهام ، فجواب إذا محذوف ،
أي : إذا ضللنا في الأرض نبعث ، ويكون إخباراً منهم على طريق